الأسبوع الأول / ما الجمال (الجمالية Aesthetics)

(المفاهيم –الآفاق –الخصائص)

تعتبر الجمالية (الاستاطيقيا) دراسة نظرية لأنماط الفنون على اختلاف أنواعها ، وللفعاليات النفسية المتصلة فيها ، مثل (السلوك) (الخبرة) ولقد تم تناولها على إنها فرع من فروع الفلسفة وعلومها ، ويعنى بفهم الجمال وتقصي أثاره في الفن والطبيعة على حد سواء . وقد اتخذ (علم الجمال) كموضوع لعلم مستقل قائم بذاته ، ينفرد بدراسته الظواهر الجمالية وما تمثله من أهمية في الحياة الإنسانية .

وتتألف جملة المعطيات الأساس التي يتناولها هذا العلم بالبحث عن:

١. الأعمال الفنية بأنواعها ، من جهة وصفها وتحليلها ومقارنتها ببعضها بالبعض الآخر.

٢. السلوك الإنساني والخبرة البشرية في توجههما نحو الجمال.

وبهذا تكون الجمالية قد أحاطت بالفنون جميعا من (أدب ، موسيقى ، مسرح ، رقص، وسينما) فضلا عن الرسم والنحت والعمارة وحتى ألبستنه وتصميم المدن وتخطيطها، فهي دراسة تشتغل على (النافع) من الفنون ، كما الجميل منها سواء بسواء.

وتستعين تجربة علم الجمال المعاصرة بالعلوم السابقة ، أو بأية معرفة تسهم من شأنها في تسليط الضوء على المشكلات الخاصة بالفنون عبر العصور ، وفي كشف النقاب عن أطوارها المتقلبة في مجالات الحضارة . وهي تميل بشكل خاص إلى الاستعانة بعلم النفس وضمنا التحليل النفسي وعلم النفس ألسريري بوصفه يعمق من فهمنا لعملية الإنتاج الفني ، كما يحدد أيضا اسس تقويمها ، فضلا عن قدرة تلك العلوم بالنفاذ إلى المدلولات الرمزية التي تشحن مختلف الرؤى الفنية ، وتجلية المؤثرات الوجدانية المتشابكة والفاعلة فيها.

كما يعنى أيضا (علم الجمال) بالنتائج المستحصلة في ميدان الدراسات الاجتماعية (الانثربولوجية) مثلا ، لأنها تزودنا بالمعلومات التي توضح لنا الكيفية التي تتم بموجبها الانسجام بين مختلف الأنشطة الفنية وبين النموذج الثقافي للمجموعة البشرية في عصر من العصور . وهو يركز (علم الجمال) في تأمل كل الفنون بشكل خاص وتأريخه الثقافي والمبررات المنطقية لأحداثه واستمرارية وجوده .

وإذا ما عدنا إلى أصل كلمة الجمالية أو الجمال (الاستاطيقيا) (Aesthesis) في اليونانية القديمة ومعناها(وعي الذات الاستنباطي أو الإدراك بالترابط). وقد افتتح (هيراكليديس بونتيكوس ٣٨٨- ٣١٠ ق . م) حوالي (٣٨٨-٣١٠ ق.م) مدرسته الشهيرة لتقليد الجماليات ، ويضع أيضا (بومجارتن) في كتابه (تأملات) لأول مرة مصطلح الاستاطيقيا كدلالة على فلسفة الجمال والفن محددا مفهوم الجمال والتقويم الجمالي.

إن ثمة نوعين من المعرفة (معرفة حسية – معرفة عقلية) ، الأولى غامضة والثانية واضحة ، وبين كلا النوعين يوجد نوع وسيط بين المعرفتين .

ومنذ العصر الحجري كشفت الرسوم على الأحجار والصخور في الحضارات الأولى القديمة (وادي الرافدين – وادي النيل) عن أحداث الصيد ورسوم الحيوان والإنسان بأحجام صغيرة وكأنها مشاهد مسرحية أو أحداث متسلس لة فيها الحركة والتعبير والنشاط وهو تصوير يطابق واقعية الحياة ويؤرخ مستواها ويعمق من حضورها المعرفي والاكتشافات وفق مستوى الآلات الزراعية والصناعية والتجارية والحربية وصولا إلى مستوى التناسب والتناغم في الأحجام والأطوال الموجودة في المنحوتات والمجسمات وكذلك الألعاب التي تؤكد حضور الجسد الأول وبصورته الجمالية الواعية المتأملة لواقع وحضور المستوى البشري في الحياة

ويتبادر في ذهن الفرد سبعة أسئلة مهمة حول الارتباط الواعي بين الفرد والفن وجمالياته وهي :

١. هل يتحكم الفنان بمنجزه بوعي وإرادة ومرونة ؟ أم يكون الفنان في حالة لا وعي أثناء التعبير والتلقي.

٢.من أين تأتي للفنان تلك الإلهامات الفنية ؟

٣.ما هي الأدوات التي يستعين فيها الفنان والأدوار التي يقوم فيها؟

٤. لماذا وبماذا يتميز الفنان عن الآخرون ؟

٥.لماذا يكون الشاعر شاعرا والنحات نحاتا والموسيقي موسيقيا والمخرج م خرجا والممثل المسرحي ممثلا؟

٦.هل للعقل الإنساني دور في جماليات المنجز الفني ؟ أم هي موهبة وحالات فطرية .

٧.هل المنجز الجمالي في العقل الواعي أو في ألاوعي أو في الشعور أو ألاشعور؟

هذه التساؤلات تقودنا إلى محاور فلسفية ثلاث :(ما الذي يمكن لنا أن نعرفه ؟ وما الذي يجب أن نعمله؟ وما الذي يمكن أن نتأمله ؟ ونجد أجابتها في المحاور الثلاثة التي يعمل العقل من خلالها ، وذلك من خلال وعي يقوم بالاستقبال والإرسال وفق جهد إداري وقوة تعمل من خلال الذاكرة ، وقوة ثالثة تحول تلك الإدراك والصور والمعاني إلى قيم جمالية وتخرجها في أشكال إبداعية .

إن الجمال ظاهرة تمثل التجربة الإنسانية ، فهي بالحقيقة أصبحت من أهم المشاكل الفلسفية، وعلى الرغم من إن الإحساس في الجمال والتذوق الفني يمكن أن يعد عاملا مشتركا بين الجميع ، إلا انه بمجرد محاولة تفسير الفن أو تعريف الجمال تتملكنا الحيرة في تباين الآراء واختلاف التفسيرات وقد تتساءل الفلاسفة عن السير في تلك الحالة التي يبعثها الجمال في النفس الإنسانية ، وقد اهتم المفكرون بتفسير حقيقة الفن وقدموا نظريات لا حصر لها ، ومن مجموع هذه الأبحاث نشأة فلسفة الجمال أو علم الجمال (وهو يعتبر بحث في الأحكام التي تتعلق بالأشياء الاستثنائية بمحتواها المتفرد (الجميل) فهو بهذا المعنى علم معياري لموضوعة القيم والمعايير التي يبنى عليها هذا النوع من الأحكام الفنية) .

إن الجمال ظاهرة ندركها في الطبيعة ولكن الجمال الطبيعي لا يكتسب قيمة استاطيقيه إلا من خلال عين الفنان ، فالجمال المدرك بالطبيعة هو جمال ظاهري مدرك بالعين، أما الجمال الفني فهو مدرك بالحس الجمالي ونظم التذوق إليه.

مصادر المحاضرة ١. الجمالية (المفاهيم – الآفاق – الخصائص) تأليف ثامر مهدي

٢. علم الجمال المسرحي تأليف / كمال عيد

٣. فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني / تأليف مصطفى عبده

علم الجمال / محاضرات أ.د عبد الكريم عبود المبارك